الشاطر بصيلى عبد الجليل

للدكتور عبد الرحمن زكى

ولد الفقيد فى مدينة أسوان فى ٢٩ديسمبر ١٩٠١ ونشأ بها ، وحفظ صبيا أجزاء القرآن الكريم وتلقى العلم فى مدارس المدينة إلى أن نال شهادة أهلته لشغل وظيفة مؤقته بتفتيش الصحة بأسوان وبعد عامين فى عمله هذا ، عين موظفاً فى مصلحة سكة حديد السودان بوظيفة باشكاتب قسم فى درجة تمهيدية وكان ذلك فى فبراير ١٩١٩ . ومنذ تلك السنة ظل يتنقل بين مدن السودان ، شمالا وشرقاً وغرباً وجنوباً حتى عام ١٩٤٩ ، فأتاحت له السنوات الثلاثة والثلاثون التى أمضاها فى سلك الإدارة المدنية فى السودان فرصة ذهبية متنقلا بين ربوعه المختلفة والتعرف على مظاهر الحياة فى صورها الواقعية ، وكان من نصيبه أيضاً أن عاصر مراحل تطور المجتمع السودانى فى فترة من نهاية الحرب العالمية الأولى إلى بعد نهاية الحرب العالمية الثانية . وقد وجه الفقيد اهتمامه من اللحظة الأولى التى دخل فيها السودان إلى دراسة تاريخية مرجعاً بعد مرجع وكانت حينذاك قليلة فى اللغة العربية ، كثيرة فى اللغات الأجنبية كما تابع مطالعة الدوريات والصحف والنشرات ، وكان يقابل ما يقرأه بما يجتمع لديه من الدوريات والوثائق الخطية التى يحتفظ بها أهل السودان ، إلى تحقيق ما كان يكتب عن تاريخ المدن والقرى ، وهكذا أخذ فى بناء مكتبة خاصة نمت مع مرور الزمن حتى أصبحت تتألف من أمهات المراجع فى تاريخ السودان ، وكان إذا سمع عن وثيقة فى دار كتب أوربية أو مخطوط فى متحف ، اتصل بالمتخصصين لكى يبعثوا إليه بنسخة منها .

ولما تقاعد عن عمله فى مصلحة سكة الحديد السودانية عام ١٩٤٩ ، انتقل الفقيد مع أسرته إلى القاهرة وأخذ فى ترتيب حياته الجديدة ، وكان معهد السودان فى بداية مراحله التأسيسية وفى حاجة لبناء مكتبة تتناول بمجموعاتها كل ما يتصل بالسودان : تاريخه وجغرافيته وأهله ومدنه ومجتمعه ، وسرعان ما وقع عليه الاختيار ليكون أمينا لمكتبة المعهد ، وكان ذلك فى مارس سنة ١٩٥١ . ونعم كان هذا الاختيار الموفق ، فقد كان الفقيد رحمه الله ، ملماً باللغات الانكليزية والنوبية والفرنسية فضلا عن إجادته اللغة العربية وظل زميلنا الأستاذ الشاطر يبنى مكتبة المعهد بهمة وصبر ويجمع لها النادر من المراجع فى شتى اللغات ومن الأطالس والوثائق وكان يساعده على ذلك ، معرفته بطائفة من دور النشر البريطانية والمكتبات المتخصصة ، فضلا عن عدد كبير من أصدقائه البريطانيين الذين خدموا فى حكومة السودان خلال المدة التى عاشها هناك ، . . . . وظل فى عمله أمينا لمكتبة المعهد حتى عام ١٩٦١ ثم جددت خدمته فى نهاية العام المذكور لمدة عامين . وفى عام ١٩٦٣ انتقل إلى حياة الدراسة الحرة لأنه بطبيعته لا يعرف الراحة ، وواصل دراساته كعادته وفى الوقت نفسه كان يجيب على طلاب المعرفه عما يسألونه عن مشكلات تاريخ السودان وما جاوره .

أولى دراسات الفقيد التاريخية

وفى عام ١٩٤٥ أثناء عمله بمصلحة السكة الحديدية السودانية بواد مدنى ، أهدانى نسختين من دراسته السودانية وكانت باللغة الانكليزية ، نسخة أهداها لأستاذنا المؤرخ المغفور له محمد شفيق غربال ، والنسخة الأخرى لى ، وعنوانها :

« التأثير الإغريقى فى وادى النيل الأزرق مع مسح للخلفية التاريخية »

وتناول فى دراسته الموجزة ، تلك ، كثيراً من المواقع الأثرية البطلمية

المتناثرة بالسودان – كيرو (سيرو) شمال أم درمان ، ورودس جنوب الخرطوم،بالقرب من محطة المساعيد على الشاطىء الأيمن للنيل الأزرق ، وبارانكو جنوب الخرطوم وتانوبا غرب الحصا عيسى ومأسورين مقابل واد مدنى،وحنطوب أيضاً ، وتاينو جنوب وادى مدنى ، العوينات عند الحدود الجنوبية الليبية غرب دنقلة وغير ذلك من المواقع التى تدل على أصالتها النوبية . وهكذا أبان لنا فى دراسته تلك تراث الشعوب ذات التأثيرات المتنوعة وحركات تلك التأثيرات وخاصة فى وادى النيل الأزرق . وبعضها اتجهت شرقاً إلى ساحل البحر الأحمر .

وقد أوجز الأخ الشاطر بصيلي الهدف الذى كان يرمى إليه ألا وهو :

القيام بعمل قاموس جغرافى لمنطقة النيل الأزرق . . . . . وهذا المقصد العلمى النبيل وإن كان لم ير النور ، غير أننا نرى أثره واضحاً فى تحقيقاته العلمية فى هوامش كتابه :

« معالم تاريخ سودان وادى النيل »

كلمات عن مؤلفات الفقيد

تاريخ المواصلات فى سودان وادى النيل (القسم الأول حتى عام ١٩٠٦)

كان من الجلى جداً وقد خدم الفقيد طوال حياته فى مصلحة السكك الحديدية والبواخر السودانية منذ عام ١٩٢٤ حتى عام ١٩٥٠ أن يؤرخ لهذه المؤسسة المصرية التى اعتمدت عليها عمليات استعادة السودان (١٨٩٦ - ١٨٩٩) حربياً ، ثم اقتصادياً للأخذ بيد السودان فى أعقاب ما لحق به من الخراب فى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر . كانت المكتبة العربية تفتقر إلى مؤلف عن تاريخ المواصلات وتطورها فى السودان ، فأقدم على ملء هذا الفراغ بروح لاتعرف الملل . وقد وجد مادته الأولى فيما كتب عن المواصلات السودانية

فى الأوامر العسكرية والمجلات الأجنبية وبعض الكتب وفى طليعتها المهندسون الملكيون فى مصر والسودان لمؤلفه المقدم ساندس[1] .

فبدأ المؤلف كتابه عن المواصلات النيلية وتطورها فى أيام الوالى سعيد باشا منذ زيارته للسودان ، وفى أثناء حملة صمويل باكر باشا سنة ١٨٦٩ ، وفى أيام الحاكم البريطانى غوردون باشا سنة ١٨٧٧ ، وأخيراً فى عمليات الحملات العسكرية بين عامى ١٨٨٤ و ١٨٩٩ . . . وما بعـــدها والمعروف أن مصر كانت قد أنشأت سكة حديدية بين أسوان والشلال لنقليات حملة ١٨٨٤ ، ١٨٨٥ . . .

الآثار العلميـــة

سنحاول على قدر لإمكان بما وصل إليه علمنا أن نتناول الآثار العلمية المطبوعه لهذا العالم الفقيد الشاطر البصيلى عبد الجليل وأول ما نلاحظه انه كتبها قبل كل شىء فى إطار تاريخ السودان الفطر الشقيق الذى أمضى فيه معظم حياته أو فى الإطار الأكبر تاريخ شرق أفريقيا . وبحوثه هذه أو تلك تشملها إما مقالات فى الصحف والمجلات المتخصصة ، أو محاضرات فى دار الجمعية المصرية للدراسات التاريخية أو كتب .

ولنبدأ بكتاباته التاريخية التى بدأها فى عام ١٩٣٦ .

١ — الكتب

١ — على أطلال مدينة سن النار (سنار) — القاهرة ١٩٣٦ .

٢ — The Greek influenee in the Blue nile valley, wrth a svrvey of the historical bock grownd.

---

(١) Royal Engineers in Egypt and Sudan — Lieut - Colonel Sandes.

التأثير الإغريقي في وادي النيل الأزرق مع مسح للخلفية التاريخية — كتب مقدمة الكتاب (ص ٣١) عالم الآثار البريطاني مستراً — ج . آركل — واد مدني ديسمبر ١٩٤٥ .

٣ - الدويلات الإسلامية في سودان وادي النيل (القسم الأول حتى عام ١٩٠٦) ، القاهرة ١٩٤٩/١٩٥٠ ، كتبه أثناء خدمته في عطبرة (السودان) يشتمل الكتاب على ببليوغرافية جيدة في نهاية الكتاب .

٤ - السلطان رابح الزبير . القاهرة د . ت . ١٩٥١

٥ — معالم تاريخ سودان وادي النيل (من القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر) كتب مقدمة الكتاب الأستاذ محمد شفيق غربال ، ٣٠٨ ص ، القاهرة ١٩٥٥ — يشتمل على ببليوغرافية هامة .

٦ — تحقيق مخطوطة : كاتب الشونة في تاريخ السلطنة السنارية والإدارية المصرية جمعها وكتبها أحمد بن الحاج أبو على كاتب الشونة — راجعها الأستاذ د . محمد مصطفى زيادة . القاهرة ١٩٦١ . بالكتاب ببليوغرافية هامة .

٧ — تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط من القرن السابع إلى القرن التاسع عشر للميلاد — الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٢ ، يذيل كل فصل ببليوغرافية هامة .

٢ — المقالات والمحاضرات

مجلة الجمعية التاريخية

١ — سودان وادي النيل والإسلام . المجلد ٢ عدد ٢ عام ١٢٤٩ من ٣٩ — ٥٣ .

٢ - تحقيق أسماء القبائل والبدنات والشيوخ والجباية الواردة فى تقرير الكولونيل ستيوارت (١٨٤٥ - ١٨٨٤) ، المجلد ٣ عدد ١ عام ١٩٥٠ ، حتى ١٨٥ - ١٩٧ .

٣ - الصراع بين الدولة العثمانية وحكومة البرتغال فى المحيط الهندى ، لمجلد ١٢ عام ١٩٦٤ / ٦٥ ، ص ١٢٩ - ١٤٠ .

٤ - الكارمية ، عام ١٩٦٧ ، المجلد ١٣ ص ٢١٧ - ٢٢١ .

٥ - نقد كتاب ج . ن سندرسون

ص ٣٧٨ - ٣٨٠ مجلد ١٣ ص ٣٧٨ - ٣٨٠

٦ - نقد كتاب - ا . ب ثيوبولد

المجلد السابق ، ص ٣٨١ - ٣٨٤

٧ - مملكة موريتانيا المصرية ، محاضرة ألقيت بدار الجمعية التاريخية مساء ٦ نوفمبر ١٩٦٧ ونشرت بعـــد والمحاضرات العامة - عام ١٩٦٨ ، ص ١ - ٨

٨ - السلطنة الفونجية الإسلامية فى سودان وادى النيل ، المجلد ١٨ ، عام ١٩٧١ ، ص ١٧٩ - ١٩١ .

٩ - طائفة من المقالات عن الأعلام السودانية : رائج الزبير ، والصاغ على جيبون ، واللواء آدم باشا العريبى فى مجلة مصر والسودان خلال عامى ١٩٥٤ ، ١٩٥٥ .

١٠ - طائفة من المقالات فى صحيفة وطنى المصرية عام ١٩٦٢ .

١١ — إضافات تاريخية فى مادة السودان الحديث التى نشرت فى دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة القديمة) .

مجلة نهضة أفريقية

ولما صدرت المجلة الشهرية نهضة أفريقية فى شهر نوفمبر ١٩٥٧ اتجه عالمنا الشاطر بكل همة بمدها بمقالاته الممتعة . وكانت صفحاتها فى الواقع متنفسا له يقدم كل شهر إلى قرائها مطالعته فى شتى الأفريقيات .

فمن أهم ما نشر له :

١ — مقال حميد بن محمد بن جمعة المرجبى (المعروف بتيبوتيب) (١٨٣٤-١٤ يونيه ١٩٠٥) ، عدد ١ نوفمبر ١٩٥٧ ص ١٠ — ٢٠ وذيله بثبت المراجع العربية والأجنبية وأرفق المقال بموجز باللغة الأنكليزية (ص ٢١ / ٢٢) وخريطة .

٢ — نقد ومراجعة كتاب مستقبل أفريقيا السياسى وتاريخ شعوب القارة الحديث — عدد ٢ ديسمبر ١٩٥٧ ص ٥٠ — ٥٣ .

٣ — السياسة البريطانية فى قلب أفريقيا (١٨٤٤ — ١٨٩٩) ، عدد ٤ - فبراير ١٩٥٨ ، ص ٤٦ — ٥٦ .

٤ — ابن بطوطة وشرق أفريقية ، عدد ٥ مارس ١٩٥٨ ، ص ٩ — ١٤

٥ — ابن بطوطة وشرق أفريقية ، عدد ٦ أبريل ١٩٥٨ ، ص ٤٠ - ٤٤

٦ — مهدى الصومال ، القاضى محمد بن عبد الله حسن ، (١٨٧٠ - ١٩٢١) ، عدد ٧ مايو ١٩٥٨ ص ٢٩ — ٣١ .

٧ غانه فى دراسات العرب ، عدد ٨ يونيو ١٩٥٨ ، ص ١٤ ١٥

٨ - دويلات عربية على الشاطىء الإفريقى ، عـدد ١٠ أغسطس ١٩٥٨ ص ١٥ - ١٩ وخريطة .

٩ - تاريخ الزنج ، عدد ١١ سبتمبر ١٩٥٨ ، ص ٣٩ - ٤١ .

١٠ - الف باء الصومالية - عـدد ١١ سبتمبر ١٩٥٨ ، ص ٧٥ - ٧٧ وترجمة المقال باللغة الأنـكليزية .

١١ - الف باء الصومالية - عدد ١٢ - ١٣ ، أكتوبر ونوفمبر ١٩٥٨ ، ص ٣٠ - ٣١ تاريخ الزنج (٢) - عدد ١٣ نوفمبر ١٩٥٨ ، ص ٥٧ - ٦٣ .

١٢ - الإسلام والثقافة العربية للدكتور حسن أحمد محمود - نقد كتاب ، عدد ١٣ نوفمبر ١٩٥٨ ، ص ٧٥ - ٧٨ .

١٣ - تاريخ الزنج من الوثائق التاريخية ، عدد ٣ يناير ١٩٥٩ .

مؤلفات للفقيد العلامة لم تنشر

ومازالت مخطوطة

لقد ترك الفقيد عشرات وعشرات الدراسات التى لم يستطع طبعها وهى لاشك تنتظر النشر . نحن فى حاجة إلى التعرف عليها ، بيد أننى سأذكر لكم بعض تلك الدراسات التى ذكرها الفقيد فى نهاية كتابه « معالم تاريخ سودان وادى النيل » (ص ٣٠٩) .

١ - جغرافية السودان مترجمة عن التركية بالاشتراك مع الأستاذ محمود نفعى .

٢ ــ السلطان رابح ترجمة عن الألمانية للكاتب أو بنهايم وترجمة إلى الأنكليزية د . سلزاك ، عربة وعلق عليه الفقيد .

٣ – هجرة القبائل السودانية إلى المجـــال الحيوى فى وادى النيجر بالأنكليزية .

٤ – أصول سلطنه سنار بالأنكليزية .

٥ ــ القاموس الجغرافى لوادى النيل الأزرق .